

الإعلام السوري متصدياً لـ«كي الوعي» لدى المواطن... ولكن!

■ **د. رأفت أحمد**

اتفق معظم المحللين والمتابعين للمؤامرة الكونية على سورية، ولواقع الإعلام السوري، على أن هذا الإعلام وجد نفسه منذ بداية هذه الحرب في مواجهة غير متكافئة مع آلة إعلامية ضخمة موجهة ومنظمة، مدعومة بعمليات تمويل لم يسبق لها مثيل، واستراتيجيات تنفيذ قائمة على جوهرها على أسس نفسية واجتماعية بحثة تضمن التأثير الفاعل في الملتقى، وإن يكن الهدف قضية باطلة.

استراتيجية العدو الإعلامية نُعمت بخطة قائمة على إرهاب وإجرام صادم على الأرض في حق الشعب السوري، فمن عمليات إطلاق النار من المنازل على التظاهرات المدعومة المال والمخدرات سبقا، إلى المجازر الوحشية مثل مجزرة جسر الشغور ومجزرة الحولة ومجازر حماة وباب عمرو والخادنية والقصير وسواها، التي هدفت في جوهرها إلى إحداث صدمة نفسية في المجتمع السوري، ودعم وقع الصدمة وأعطاهما بعداً مؤثراً للقرار الأولي للقيادة السورية بمنع قوات حفظ النظام من إطلاق النار في اتجاه التظاهرات والتجمعات مهما بلغت شدة التخريب أو الإجراء الحاصل لكي تتضح صورة المؤامرة وفصولها للقذرة للمواطن السوري المغرَّب به. مجازر صادمة على الأرض تُثبت على القنوات الإعلامية صوتاً وصورة مباشرة، وعجز «ظاهري» للقوى الأمنية وقوات الجيش في التصدي لحالات الإجراء وسبق الدماء، ما أدى إلى دخول الشارع السوري في ما نسميه «كي الوعي» وحدث العقل الباطن القائل «تغيير الحال من المحال» وحدث اللاشعور الجمعي القائل «متلما حصل في مصر وتونس وليبيا فإن المصير نفسه هو في سورية».

حالة «كي الوعي» المستندة إعلامياً إلى إثارة الغرائز الإنسانية لمظاهر الدماء والقتل ومعاناة الأطفال والنساء، تصدى لها الإعلام العربي بكثير من المنطق ومحاكاة العقل وعرض الحقائق كما هي، وإن يكن العرض متأخراً أحياناً لأنه إنَّه نجح في الحيولة دون دخول وعي الشارع السوري في حالة

السبات المؤبدية إلى اللافعل. فرائنا مثلاً المبادرات الشبابية ونشاطاتهم على الشبكة العنكبوتية، وشهدنا فقرة التضليل الإعلامي والتي لشدة فاعليتها قامت القنوات المعادية لسورية بتشوئها حياً وتقليدها حياً آخر، فكان أن أنتت النتائج عكسية، إذ سلط نجم فقرة التضليل الإعلامي وبيات نافذة المواطن السوري للاطلاع على الواقع وتبويبها وربطها مع بعضها البعض وصولاً إلى الحقيقة المراد إيصالها لاحقاً، للمعان نجم الإعلام الوطني السوري بشقيه الخاص والعام، والمبادرات الشبابية على تنوعها، فكانت إنجازات الجيش العربي السوري على أرض الواقع في مواجهة العصابات التكفيرية والمسلحة، وشكل ذلك كله قوة جبارة أخرجت الشارع السوري من حالة الإحباط وحالة «كي الوعي» إلى حالة المواجهة والتصدي، فحدث النفس القائل «تغيير الحال من المحال» تحول إلى «سوريا لنا حرام على غيرنا» و«غيرنا ما بنتخا» و«ميهات منا الذلة».

فيما تخرج سورية رويداً رويداً منتصرة من هذه الحرب، لنا أن نتساءل:

هل ارتقى الإعلام السوري إلى مستوى النصر السوري؟

هل ارتقى إلى عظمة إنجازات الجيش العربي السوري الذي لا يقهر؟

هل استطاع وضع المواطن السوري بصورة ما يجري بعدما حسم هذا المواطن خياره مع الوطن؟

هل استطاع الإعلام السوري مواجهة مستجدات المرحلة وما أرخت الأزمة من مفاعيل اجتماعية واقتصادية؟

نقول بحب واحترام ورغبة في الحقيقة: خرج الإعلام السوري وأخرج الشارع السوري من حالة «كي الوعي» ليقع في «تنويم الوعي» أي فخ التكرار، ليعود مستديراً إلى الوراء 360 درجة بخطى ثابتة. فها هي الندوات المكررة بالمثل ذاته والمضمون والإعداد عيبتها، والأفكار نفسها والمعلومة أيهاً والضيوف يتكزرون... أما الواقع فما أبعد!

أين الإعلام السوري من مشكلة الفقر المدقع التي باتت تعيشه الأسر السورية المتضررة من هذه الحرب؟ أين هو من مشاكل أسر الشهداء

1/2

السلفية بين تيارين : سلطويّ مستكين... وعنفيّ تكفيريّ

■ **فؤاد عيتاني**

الحديث عن السلفية في السعودية بالغ التعقيد ومتشعب، فالمقاربة التحليلية لعنصر من عناصرها ما هو إلا محاولة منا لتقديم وجهة نظر شاملة تعرّف بخطوطها العريضة وما تلت إليه في اللحظة الراهنة.

نبدأ بأحد أبعادها: المعارضة السلفية من رحم السلفية، أو ما يُسمى بالسلفية الإسلامية في السعودية خاصة، والتيار السلفي في العالم عامّة. إن تناول المعارضة السلفية أشمل من تناول السلفية على نحو تقليدي، فالمقاربة الأولى تعني السلفية من الداخل كما من الخارج، بحكم أن معارضة الشيء تبدأ بتفكيك قواعد تكوينه، مع الحفاظ على مسافة معينة.

الشذاة والتكوين:

عام 1744 توجّ الملك محمد بن سعود والشيخ الديني أو الروحي محمد بن عبد الوهاب تحالفهما العسكري الديني على أساس تكوين ميدان للسُلطة. وقسم هذا الميدان بين مجالين، السياسي تحت قيادة ابن سعود والديني تحت إشراف محمد بن عبدالوهاب. وبهذا استطاع الرجلان إنشاء تحالف قوي قامت عليه الدولة السعودية الأولى، واستمر التحالف في إمداد الدولتين اللاحقتين، السعودية الثانية والسعودية الثالثة، بمصدر شرعي بالغ الخطورة والأهمية، ألا وهو الدين.

إن هذا التحالف يعتبر الأول كتبار مقاتل للمسلمين على اعتبارات دينية، وسبباً في ميلاد دولة ملكية. في الماضي البعيد رأينا مع معاوية بن أبي سفيان ميلاد الملك، ومع الخوارج قتال المسلمين. لكن للمرة الأولى يجتمع قتال المسلم مع مع الملك والوعي على آل سعود.

يلاحظ العديد من الباحثين أن فكر بن عبد الوهاب قام على ما يسمى بمنهج السلف الصالح، والمقصود هو الرجوع إلى مصادر التشريع الأصلية، أي القرآن والسنة. ولم يكن عبد الوهاب مقتطعا عن معاصريه منجها وممارسا، كما هي الصورة الشائنة عنه، بل كان مطلعاً على المدارس الفكرية الرئيسية وتوجهات علماء عصره.

هذه الفكرة، مع تعدد التفسيرات لإرث محمد بن عبدالوهاب، يشكلان دليلاً على مرونة فكره وقابليته للتكيف مع أكثر من اتجاه. غير أن الرجوع إلى منهج السلف الصالح، بحسب فكر عبدالوهاب، يعني جعل الاجتهاد مركزاً رئيسياً في الفقه، وذلك ما نراه جلياً في أهم كتاباته، خاصة مؤلفه المشهور «كتاب التوحيد». وبناءً على الفكرة هذه يصبح التقليد مرفوضاً. ولهدا التوجه انعكاسات خطيرة تنتج بعضها، مع ملاحظة نقطتين في هذا المقام:

الأولى: رفض التقليد عبر مركزية الاجتهاد. ومرم ذلك أن الاجتهاد لكل مسلم يمارسه من دون وصاية من أحد. وبالتالي، وهذا ثانياً، تغدو المساحة التي تفصل عالم الدين عن المجتمع صغيرة جداً، ما يفيد احتكار الدين أو ممارسة المدعية، وفتح الفضاء العام للتعددية الفكرية في الدين من غير الإخلال بالخطوط العريضة المتكبد. لكن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، عبر سعيه إلى التفوق لامور العقيدة أتمثل الاجتهاد فحصل اتباع فتاوى بعض من سبقوه، متبنياً المدعية، «الحنبلية» نسبة إلى الإمام أحمد بن حنبل في المجلس. وفي هذا تناقض واضح بين دعوته إلى الاجتهاد وتقليد المدرسة الحنبلية. ولا نستطيع تحديد الأسباب التي جعلته ينحو إلى ذلك، لكن من المهم استحضار السياق التاريخي لتكوين الدولة السعودية الأولى، وهو التوسع والسيطرة على أراض جديدة. ما جعل التركيز منصبا على تعليم العقيدة أكثر من الفقه، بحكم دخول أعداد غفيرة في دعوته.

كأنّي فكر في أيّ مكان، تطور هذا المنهج الذي بات يُعرف بالوهابية وسط ذلك المزيج من الاجتهاد النظري والتقليد العملي (الحنبلي). ومن المراحل المهمة التي شهدها، بروز تيارين رئيسيين هما التيار الإقصائي والتيار الاحتوائي. ومن الأمثلة على ذلك، موقف العلماء من الغزو المصري للدولة السعودية الثانية عام 1818 واحتلالهم أراضيها؛ فانقسم جمهور العلماء بين مكره مخرج للمصريين الغزاة من الملة يري وجوب الهجرة عن أرض يحكمونها، ومسانف لهم ومعترف بخطأهم لنتكّه ليُفكّهم ولا يخرجهم من الملة، وعليه فلا حاجة إلى الهجرة من «دار الكفر إلى دار الإسلام». واستمر هذا التطور مع بداية الدولة السعودية الثالثة على يد الملك عبد العزيز آل سعود، غير أن عدة متغيرات طرأت على ميدان السلطة المحكوم بالشرع التقليدي: الاملاج السياسي بقيادة آل سعود، والمجال الديني تحت إشراف رجال الدين ومن أبرزهم أفراد أسرة آل الشيخ. أي أسرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. ومن هذه المتغيرات التي الموجهة التحديثية والتنمية التي ساهمت في بروز مجالات أخرى في ميدان السلطة، مثل المجال الاقتصادي والمجال الثقافي. غير أن كل المشاريع التنموية ركزت على المكان أكثر من الإنسان، ما جعل التنمية مشوهة. هذا السبب عدم مواكبة التنمية القديمة كفعية العمل والثروة والإنتاج للمجتمع المادية. ومن هنا برزت تحديات جمّة، في مقدمها مصالحة المجتمع بالمعاصرة. وبحكم موقع رجال الدين الاجتماعي ينظر إليهم إلى حد ما على أنهم حراس الأصالة والمتمنّون على المحافظة عليها.

رائق هذه التنمية المشوهة سياق إقليمي أحدثه تراجع القومية العربية في المنطقة، وأحدث ذلك فراغاً فكرياً كبيراً، وكان في خضم سقوط الحداثة العالمية وبروز ما بعد الحداثة: تقدّم الهاشماس وسقوط المركز. فبرزت الحركات الإسلامية

راقبوا الألمانِيّ جيداً

■ **طاهر محي الدين**

تعتبر ألمانيا القوة الاقتصادية المحرّكة لأوروبا، وقائداً بارزاً في الاتحاد الأوروبي، والدولة الوحيدة تقريبا التي لا تعاني الأزمات الاقتصادية الخانقة أوروبا، وهي التي تدعم الدول الأوروبية الأليّة إلى السقوط ماديا كي لا تنهار وتُسقط معها الاتحاد الأوروبي المالي الذي بدأ أوّنه من بيت العنكبوت. إذ كانت أزمة اليونان إحدى الدول الصغيرة اقتصاديا في أوروبا تتسبب بانهايار منظومة اليورو.

تاريخيا، تعتبر ألمانيا نفسها مسؤولة على نحو مباشر أو غير مباشر عن دول أوروبا الوسطى المتحررة حديثا من أنظمتها والتي قادتها ألمانيا، لذا تعتبر ألمانيا نفسها مالكة الدول الشرعي في تمثيل المصالح الأوروبية مع روسيا، بفضل موقعها الجغرافي الذي يفصل أوروبا الشرقية التابعة تاريخيا للجيش الأحمر الروسي عن دول أوروبا الغربية.

ننتقل من هنا للعقل، ترتقبوا الألمانيّ جيدا في صوغ معادلات التوازن

البناء

والمصابين؟ أما المحطوفون فلقتضيتهم أبعاد وشجون يغيب عنها الإعلام عن سبق إصرار وترصد!

أين الإعلام السوري من تقصير بعض الوزراء وبعض مديري المؤسسات الحكومية في تأمين الحياة الكريمة للمواطن في ظل ظروف استثنائية؟

أين الإعلام السوري من مشكلة أطفال التنسول على إشارات المرور والعدائت التي تنام في الحدائق لأسباب عديدة؟ أين الإعلام السوري من المشاكل الاجتماعية الناجمة عن حالات التهجير من حالات التفكك الأسري والطلاق والدعارة المقنعة باسم «زواج السترة»؟

هل للإعلام السوري أن يكف من عرض صور لدمشق ولباقي المحافظات عائنة إلى ما قبل الحرب ويعرض الواقع كما هو؟

هل للمواطن السوري بعد كل معاناته وصبره وصموده بمحمل سياسي أو

ناطق عسكري أو متحدث إعلامي يضعه بصورة ما يحصل يوميا في البلد؟ ماذا يهم المواطن السوري من وزير اجتمع بلجانه هنيا، وآخر يفرس شجرة هناك، بينما يرى الواقع ضبابيا والمستقبل مجهولا؟

لا بد للإعلام في سورية من استراتيجية وطنية إعلامية تأخذ في الاعتبار المستجدات اليموية في الحرب الكونية التي يتصدى لها الجيش السوري، ولا بد من إبرتقى هذا الإعدام إلى مستوى انتصارات الجيش التي يسيطرها كل يوم، بل كل ساعة، وأن تدعم هذه الاستراتيجيا بتحكيات مرحلية على الأرض، شهرية ويومية تواكب إفرازات الأزمة عسكريا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا.

لا بد من حالة قيادة الوعي إعلامياً لدى المواطن السوري الذي يبق ثقة عمياء بقيادته، ولا بد من المعلومة المقدمة بذكاء وحرفية في المكان والزمان المناسبين انطلاقا من غريزة حب المعرفة لدى الإنسان. فالمعرفة حق ولا يمكن لأحد مصادرة هذا الحق، فما أن تصادره جهة ما حتى تتلغفه جهة أخرى معادية وتعزف على وتره بما يخدم أهدافها واستراتيجيتها.

التاريخ الإسلامي والاجتماعي في السعودية، أي الإصالة والمعاصرة، أثر في السلم الاجتماعي. ومن الأساليب التي اتبعتها الحكومة السعودية للتعامل مع هذين المازقين مصالحة الإصالة والمعاصرة، فضلا عن مارق الولاء والبراء، إذ كان هناك احتواء للمؤسسة الدينية عبر التعليم الحديث «تتويج فيصل ملكا، وتقاسم السلطة مع المراكز المؤثرة داخل الأسرة الحاكمة».
أفادت المؤسسة الدينية من تلك الظروف لتعزيز سلطتها فتمتعت بامتيازات كبيرة ليس أقلها السيادة على قطاعات التعليم والمشارف والمبازر على المناهج التعليمية وعلى الشءء. وبحكم استضافة المملكة العربية السعودية أفراد جماعات «الإخوان»، خاصة من سورية ومصر، احتك الفكر الوهابي السلفي بالفكر «الإخواني» الحركي فأحدث الاحتكاك تطورات خطيرة في المفاهيم الرئيسية للفكر السلفي الذي كان سائدا في السعودية.

كلما عصفت بالملكة أزمة اجتماعية أو اقتصادية عبرت عن وجودها من خلال المازقين الكبيرين : مصالحة الإصالة والمعاصرة والجمع بين موقها كبلد للحرمين وحليف رئيسي للغرب

مفاهيم رئيسية:

من أهم المفاهيم الرئيسية في الفكر السلفي الوهابي طاعة ولي الأمر؛ وله دور مركزي في المحافظة على شرعية الحكم في الدولة السعودية. وبحسب الإرث الوهابي، لا يجوز الخروج على ولي الأمر وتحدي سلطته إلا إذا منع الصلاة في المسجد، أي بعد فتره وخروجه من الملة خروجاً بيّنا. وهذا يعطي ولي الأمر مساحة غير محدودة للتصرف في إدارة الدولة كما يشاء، من دون رقابة، على المستوى النظري طبعاً، من أحد. غير أن تواجد «الإخوان» الكثيف في السعودية وحضورهم المهم في مراكز «تعبوية» خطيرة، كاستاذة جامعات وأطباء ومهندسين، كان له بالغ الأثر، وإلى ذلك حصل تواصل فكري ديني بين جيل من شباب الوهابية ومفاهيم حركية «إخوانية»، وفي ذلك توفير لبخيل لف مفهوم ولي الأمر التقليدي، انعكس الأثر بالفرق «الإخواني».
الشرحي على مفهومي ولي الأمر كثيرا، إلى حد إدراج شروط متعددة، إذ لم تحترم نشاط شرعية الحاكم، ويستتبع ذلك جواز الخروج عليه. لكن تحديد تلك الشروط، ومراقبة احترامها ثم تقرير ما يلزم مجال الخروج أو عدم الخروج على الحاكم، يبقى كله منوطاً بأهل الحل والعقد. ومفهوم أهل الحل والعقد يعني تقسيم المسلمين قسمين، قسما تابعا وقسما متبوعا. وأملاك صاحبة تحديد أفراد كل قسم ينحصر في رجال الدين نظريا، لكنه يخضع عمليا لشروط الجبالة كثيرة ومعقدة. المهم في ذلك كله إمكان تجوير هذا المفهوم ليغدو أكثر انفتاحا على الجميع، ما يخفف احتكار نخبة معينة للسلطة، وهذا حصل مع تيارات متعددة انبثقت من السلفية، مثل الصوذية، التي شكّلت ذات فترة معارضة قوية للمجالين الرئيسيين في ميدان السلطة، المجال السياسي والمجال الديني.

يلمي ذلك مفهوم الولاء والبراء وهو مفهوم يعني، بحسب وجهة النظر الوهابية، حرمة موالاة الكفار. ونظر محمد بن سعيد القحطاني إلى هذا المفهوم في كتابه «الولاء والبراء في الإسلام». وساعد الكتاب في إعادة الأثر إلى التوجه الأحادي السياسي الدولي مفروض على المملكة العربية السعودية بحكم مركزية النقط في اقتصادها بالارتباط بالاقتصاد العالمي والانفتاح عليه. وهذا يعني تفهمه لو نظرا إلى أي حاجة المملكة إلى ما يمتزق نطقها، وهذا بالطبع يعني الدول المتقدمة والمتطورة صناعيا. وهنا مازق آخر على السطح يتعامل معه: مصالحة موقعها الإسلامي المحوري وخطاب شرعيتها المستند إلى الكتاب والسنة وتحالفاتها مع العالم العربي الذي لا يدين بالإسلام.

كلما عصفت بالملكة أزمة، أيا تكن، اجتماعية أو اقتصادية أو غير ذلك عبرت تلك الأزمة عن وجودها من خلال المازقين الكبيرين: مصالحة الإصالة والمعاصرة، والجمع بين موقها كبلد للحرمين وحليف رئيسي للغرب.

ونستدل على ذلك بعدة أمثلة، كالحرب الأهلية التي قامت بين الملك عبد العزيز و«الإخوان» في أواخر العشرينات من القرن العشرين، فقاد «الإخوان» الذين يمكن أن نطلق عليهم تسمية «النخبة القبلية» بحكم قيادة شيوخ قبائل مطير ومكة للقوة العسكرية الضاربة كانت لديهم طموحات سياسية مثل اقتسام السلطة مع الملك عبد العزيز، وعبروا عن احتجاجهم على احتكار الملك عبد العزيز للسلطة من خلال مفاهيم دينية، مثل الولاء والبراء، ومن أبرز أخطأهم مهادنة الكفار وموالاةهم ومنع الجهاد ضدهم، وكانوا يقضون للعراق والأردن وبريطانيا، انتصر الملك عبد العزيز، على المفهوم بقي حيا. ومن الأمثلة أيضا احتلال جيهمان العتبيبي ورفاقه الحرم الكئي الشريف، محاولا قلب الحكم على أسرة آل سعود، وفضى أن التغيرات الاجتماعية الهائلة كانت من العوامل التي ساهمت في بروز حركات مثل حركة جيهمان. فمازق مصالحة الحداثة مع

تشكل نحو 60% من دخل روسيا القومي، وأي محاولة لإضعاف هذه المنظومة الروسية قد تدفع بوتين إلى خوض حتى حرب عالمية رابعة لحماية مصالح روسيا الاقتصادية التي تتقدم بوتيرة مرتفعة، كما تعلم يقيناً أن في إمكان روسيا ليس إحداث انهيار اقتصادي في أوروبا ففسب، وإنما تدمير الاقتصاد الأمريكي إلى غير رجعة في حال تزايد اللعب الأمريكي في حقل الطاقة الروسية. كما تحاول أمريكا المهزومة في الحروب التي خاضتها إلى زيادة الضغط على روسيا عبر التلاعب بأسعار النفط وخفضها من خلال أدواتها الخليجية للإضرار بالمصالح الروسية.

هذا الأميركي الغبي الذي أغفل التحالف الوثيق والاستراتيجي والمصلحي، ربما مع الحليف الإيراني النووي المتقدم على نحو متسارع والمحوظ على الصعيد كافة، والذي يستطيع إغلاق مضيق الهرمز بالتعاون مع سلطنة عمان الاستراتيجية المتحالفة مع إيران، ما سيؤدي إلى رفع سعر برميل النفط المصدر من دول مجلس التعاون الذي تقع عليه موائئ التصدير الخليجية كافة في الكويت والإمارات وقطر والعراق والسعودية فيحصل سعر برميل النفط إلى ما يزيد على 300 دولار أميركي، وهذا يتيح فرصا كبرى للعراق وإيران لغزو أكبر في شرق آسيا، وتدعو أوروبا برمتها تحت وطأة الضنبور الروسي الذي يمر إليها عبر أوكرانيا التي تبدو في طريقها إلى العودة تحت لواء الجيش

آراء

أزمة النظام البرلماني الأردني

■ **عمان .حسن عجاج عيدات***

كثرت الحلول والإقتراحات في الآونة الأخيرة، ومعظمها يرسم نهجاً أو مخططاً للسياسة الأردنية في الداخل والخارج، ويؤكد أن أزمة الأردن سياسية في الدرجة الأولى وتكمن في بعض المبادئ التي يقوم عليها نظامه البرلماني، وفي قانوني الانتخاب والأحزاب المدرجين على جداول جلسات مجلس النواب الحالي. ويجمع المواطنون على عدم وجود أحزاب سياسية منظمة قادرة على المنافسة، ويعتبرون أن الشرط الأول للإصلاح السياسي هو فصل السلطات، وعدم تغول إحداها على الأخرى، وتبني النظام الديمقراطي الذي يسمح لكل محافظة بتبني نظام حكم ذاتي خاص بها. ومن أسباب تعثر النظام البرلماني عدم توافر الشرط الأساسي لنجاحه، وتعني به عدم وجود أحزاب قادرة وفاعلة، فالنظام البرلماني لم يترعرع ويلقا نجاحاً وانتشاراً إلا في البلاد التي يتنافس فيها حزبان أو ثلاثة تنافسا شريفاً نزيهاً، وإن تعدد الأحزاب وانقسامها على بعضها، وفقدان روح التنظيماً الحزبي فيها، هما اللذان تتسبباً بإضعافها وعدم قدرتها على التمثيل النيابي. إن الأحزاب المنظمة هي بمثابة العمود الفقري للنظام البرلماني، ولعل أكبر خدمة يمكن أن تقدمها إلى الوطن جمعها المواطنين من مختلف المشارب وتوحيدهم وتمكينهم من الالتقاء فوق صعيد واحد من الوطنية ، وإذا كنا نوجه بعض الانتقادات إلى النظام البرلماني الحالي، فلاعتقدنا بأن الانتقاد النزيه الحر هو خير طريق للإصلاح وخير طريق لتنبية المسؤولين والرأي العام إلى الأخطاء المرتكبة في كيفية تطبيق النظام البرلماني. تحتم النظرية البرلمانية تطبيق مبدأ فصل السلطات، الذي أثبتت التجارب أنه لا يزال الحقيقة الأولى المستمرة حتى الآن، وإذا جمعت السلطة في يد شخص واحد كان طغيان وتعسف، ولا فرق في ذلك بين كود الشخص واحداً أو جماعة.

إن الحكومة البرلمانية لا تقضي بفصل السلطتين التنفيذية والتشريعية فصلاً تاماً ، كما أنها لا تمزج بينهما، إنما تقضي بتداخل متبادل بينهما فحسب، لأن النظرية البرلمانية تفقد قيمتها إذا تجمعت السلطات كلها في يد سلطة واحدة، ولم تلق النظرية البرلمانية أي تطبيق صحيح، فرؤساء الحكومات وأرسلت الدولة أعدادا كبيرة من الشباب إلى الخارج ليحصلوا المعارف والعلوم الحديثة، لتكهم لم يحملوا لدى عودتهم تلك العلوم فحسب، بل حملوا أفكارا وتوجهات ذات أبعاد اجتماعية، فشكّلت الأجيال المتعاقبة أرضية لنخبة ثقافية اسلقت مجالها الخاص عن ميدان السلطة، وليس أدل على ذلك من بروز حركة الحداثة الأدبية التي حصلت في منتصف الثمانينات والتي تمتعت بامطار نظري متقدم وإنتاج نقدي وأدبي ثري. وأبرزت هذه التغيرات مجتمعة تيارات متعددة داخل السلفية الوهابية السعودية، كرد فعل على تلك المتغيرات كافة.

التيارات السلفية وعالقتها بالسلطة:

تكثفي بالحديث عن طرفين رئيسيين يعارضهما التيار الصحوي وهما السلفية التقليدية والجماعية. إنما علينا تعريف هذا التيار الصحوي وتحريم بعض مصطلحاته، إذ طغى على السلفية الحركي أو الإسلام السياسي على الساحة الإقليمية. وبرز الإسلاميون في كل من فلسطين وسورية ومصر وإيران، وشكّلت فترة ما أطلق عليه الجهاد الأفغاني مرحلة مفصلية في تاريخ السلفية السعودية وبالذات عند هذا التباير عبر مواجهتين: الأولى داخلية والثانية خارجية. فالهدف الرئيسي للحداثة الأدبية هو مسخ الهوية الإسلامية للمجتمع السعودي، وشتت معركة ضارية اضطرت جامعة أم القرى، على سبيل المثال، إلى الإمتناع عن منح سعيد السريحي وهو ناقد أدبي حداثي معروف، شهادة الدكتوراه. واضطرت أيضاً عبدالله الغدامي، مؤلف كتاب «الخطيئة والتكفير»،

إلى ترك جامعة الملك عبدالعزيز في جدة والانتقال إلى الرياض. وحاولت السلطة الحفاظ على توازن معين بين الفريحين، كي لا يفتني أحدهما الآخر، وربما لأحق توازن بينهما فلا تطلو الساحة لأحدهما ولا يتشكل مصدر إزعاج للسلطة. أما العدو الخارجي فكان ما يطلق عليه الاتحاد السوفياتي الذي غزا أفغانستان، وكان لا بد من إعلان الجهاد عليه «ونحدر عدوانه». ووافق ذلك هوى الحكومة السعودية التي كانت ترى في وصول الجيش الأحمر إلى أفغانستان مقدمة لغزو الخليج، ودعم القوى اليسارية العربية، على حساب الملكيات والأنظمة المحافظة، ولأقلى نذع الجهاد غريباً عامّة، وأميركيا خاصة، لتوجس الغرب من الاتحاد السوفياتي وطموحاته التوسعية في الخليج العربي بحسب ما صوره الغرب وكرسه في عقول رموز الحركة الوهابية والعداات المالكة. وكان محصلة ذلك تبني الحكومة العربية الجهاد في أفغانستان عبر الدعم المادي والمعنوي، فقامت حملات التبعية في المملكة على مستوى المال والرجال، وكانت تلك مقدمات لبروز تنظيم القاعدة من رحم الحركة الوهابية ورحم جماعة «الإخوان المسلمين» في العالم. وبعدما مسح الجيش السوفياتي قواته من أفغانستان، عاد معظمهم إلى بلدانهم وبينها السعودية، ما أدى إلى نشوء ظاهرة جديدة كان لها بالغ الأثر لاحقاً وهي ظاهرة الجبالة التكفيرية التي أطلق

شكّلت فترة ما أطلق عليه

الجهاد الأفغاني مرحلة مفصلية

في تاريخ السلفية السعودية

فاشّد عود هذا التيار عبر موجهتين :

الأولى داخلية والثانية خارجية

عليها زوراً وبهتاناً الجهادية وتشبیه إلى حد كبير الغزوات في عهد الجاهلية القديمة التي ما أن تنتهي حتى يطالب قادة الجاهلية بالتحضير لغزوات جديدة تمكثهم من مهارة والاستيلاء على مغائن جديدة. وبعد عودتهم من أفغانستان واكتسابهم خبرة قتالية وتنظيمية كبيرة على يد خبراء عسكريين من أمريكا أشرفوا على إعداد تنظيم القاعدة تحت سمية أنهم «مجاهدون في سبيل الدين والعقيدة ومحاربة الفكر الشيوعي في بلاد المسلمين»، وعانى هؤلاء المقاتلون التكفيريون المسابوق من غياب «الصلاة الكبرى»، ما في أطلق عليه «بطالة جهادية»، فلم يعد نذع العيش والمعارك المكيفة يفوضهم عن هامات الجبال في تورا بورا أو بطون الأودية الأفغانية المليئة بزراعة المخدرات الذي أخذ قسم كبير منهم يتعاطاها، وذلك ما يظهر راثمنا في أمراض قاداتهم، استطاع هؤلاء العائدون أن يستثمروا أفكارهم التنظيمية لاستكمال مسيرتهم في «خدمة مشروع تنظيم القاعدة»، ولم يكن يقصضهم لأسبب، أو أمر مفتر، ليتم التحرك وتفعيل دور تلك الستهة التحتية التعبوية. ومع غزو العراق للكويت، واضطراب العلاقات ضد الاستبداد بالغرب، توافر السبب وحانت الفرصة، فبدأت التعبئة إلى «الغزاة الأميركيان» في أرض «الحرمين».

(عدأ حلقة ثانية)

الأحمر الروسي إذا ازدادت الضغوط الأميركية على روسيا القيصرية البويرتينية.

إن اللعب الأميركي بالورقة الأوكرانية كان أغبي خيار للسياسة الأميركية، إذ لم يدرك العقل الروسي جيدا، وهو ضرب جديد من ضرب غياب ثعالب السياسة الأميركية عن مراكز صنع القرار، ما عزز موقف روسيا، بالإضافة إلى ما أنتزه صعود جنود الجيش العربي السوري ورجال الله في المقاومة الإسلامية في حزب الله وإسقاط مشروعهم في سورية والمنطقة بدءاً من العراق بالتحالف والتعاون والتنسيق مع الحليف القوي الثابت واليمني في الجمهورية الإسلامية الإيرانية وإحاق الهزائم بالأميركي تباعا. ذلك كله قوى الموقف الروسي وجعله يظهر مجددا في مجلس الأمن، وأمسى الروسي هو من يدير هذا المجلس ولا يمز أي قرار ما لم يكن رضائيا، كما هي الحال مع القطب الصيني، القاتل الصامت، والذي يملك بيده سندات الخزينة الأميركية.

عرف الألماني جيدا أن اكناه على الأميركي وبقائه ظلّلاه هو أكبر خطأ استراتيجي وتكتيكي، وإن المصالح الجيوبوليتيكية والجيوسياسية تحتم على بلا أدنى شك عدم اللعب مع الروسي على الأقل، ولا لاحتنا ذلك جيدا في التباين الواضح بين أسلوب التعامل الألماني مع الأزمة الأوكرانية، وأسلوب ذوي الرؤوس الحامية، البريطانية والفرنسية وهم أذبال أميركا في أوروبا.